يداً ، ولا رد لك طلباً ، بل ملأ حجرك دراهم منذ أول يوم قدمت فيه !

وكان هم أبي دلامة الأكبر أن يكسب بمنادمته كثيراً من المال : ويأخذه في قصر الخليفة منه ومن أقربائه وممن يتردد على الخليفة من الأمراء والوزراء ، بل كان يأخذه من الوالي أنفسهم ؛ فإن أمسك أحد منهم يده عنه تنادر به ليفضحه !

دخل على المهدي وبين يديه سلمةُ الوصيف واقفاً ، فقال : إني أهديت إليك يا أمير مُهراً ليس لأحد مثلُه ، فإن رأيت أن تشرفني بقبوله . فأمره بإدخاله إليه . فخرج وأدخل إليه دابته التي كانت تحته ، فإذا به برذَون عظم أعجفُ هَرِم . فقال له المهدي : أي شيء هذا ويلك ! ألم تزعم أنه مُهر ؟ فقال له : أو ليس هذا سلمةُ الوصيف بين يديك تسميه الوصيف وله ثمانون سنة ، وهو عندك وصيف ! فإن كان سلمةُ وصيفاً فهذا مُهر ! فجعل سلمةُ يشتمه والمهدي يضحك . ثم قال لسلمة : ويلك ! إن لهذه منه أخوات ، وإن أتى بها في محفل فضحك . فقال أبو دلامة : والله لأفضحنه يا أمير المؤمنين ؛ فليس مواليك أحد إلا وقد وصلني غيره ، فإني ما شربت له الماء قط . قال : فقد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك . قال سلمة : قد فعلتُ على أن لا يُعاود . فقال المهدي لأبي دلامة : ما ترى ؟ قال : أفعلُ ، فقولا أني ما أخذت منه شيئاً قط ما فعلت منه مثل هذه فقضى سلمة لحملها إليه[1] .

فانظر كيف لم يرض أبا دلامة إلا حملُ سلمةَ ألف درهم إليه كانت أشبه بضريبة لم يستطع أن يتخلص منها أحد من موالي الخليفة فكيف بأهل بيته وذوي قرباه ؟

وقد صرح الظريف في هذه القصة بأنه لولا أنه ما أخذ من سلمة شيئاً قط ما تنادر به ، ففي هذا إنذار لكل من يدخل قصر الخلافة سيداً كان أو مولى بأنه معرَّض للفضيحة إذا هو لم يرضخ شيئاً لأبي دلامة !

فما كان أعجب هذا الظريف !

(يتبع) صبحي إبراهيم الصالح

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٧١ .

من صور النكبة :

رقـــيـة ...

للآنسة فدوي عبد الفتاح طوقان

تدلّت عن الأفق أمُّ الضياء ... ملفّعةً باصـــفرار كئيب
وقد ألمت عن صدور الهضاب ... وهـام التلال ذيول الغروب
وجرّت خطاها رويداً رويداً ... وأومتْ إلى شرفات الغيب
فأطبقن دون رحاب الوجود ... وأغرقنه في الظلام الرهيب
وغشّى الدجى موجات نبضن ... بشوق الحياة ، بوهج اللهيب !
وأجرى تلاعب تاج السنين ... بها لهبات في حنايا الجنوب !
وأوغل في حاليات القصور ، ... وأوغل في كل كوخ سليب
فمدّ الجناح على بسمات الشـــفاه ، وفوق جراح القـــلوب
وضمّ الـــعهيد بأحلامه ،
وضمّ أخا البؤس يغشو الكروب

* * *

وفي وحشة الليل ، ليل المواجع ، ليل الواجد ، ليل الهموم
وللريح ولولة في الشـــعاب ... وللرعد جلجلة في النيـــوم
وللبرق خفق توالى دراكاً ... يشق حجاب الظلام البهيم
بدا (جبل النار) تُرب الخلود ... له روعة الأزلّ القـــديم
تعـــالى أشمّ أمام السماء ... يجاذب منها حواشي الأديم
كأنّ ذراه رُفُن هناك ، على الأفق ، متكأ للنجوم
وكان وراء غواشي الدجى ... رهيب الكون ، عميق الوجوم
تحسّ به رجفـــة الكبرياء ... الجريحة والعنفوان الكليم
وفي قلبه النـــار مكبوتة الزفير ، فيـــا للهيب الكظيم !

* * *

هنالك ، في سفح مهد البطولات ، والمجد ، والوثبات الكُبَرْ !
هنالك ، تحت الضـــباب السفّ والأرض غرق بدفق المطر
كأن الرحاب الحلى بعيون السحالب تبكي شقاء البشر . .
هنالك ثمّ (رُقيّة) كهفٌ ... رهيب عميق كجرح القدر

تدور به لفحات الصقيع فيوشك يصطك حتى الصخر
وتجمد حتى عروق الحياة ويطفأ فيها الدم المستعر
(رقية) ؛ يا قصة من مآسي الحمى سطرتها أكفّ النير
ويا صورة من رسوم التشرد ، والذل ، والصدمات الأخر ...
طوى القُرُّ ، فانطرحت هيكلاً شقّ الظلال ، شقّ الصور !

* * *

تعلّق ثوبٌ كفرخ مهيض على صدرها الواهن المرتعدْ
وقد وشّدت رأسَه ساعداً وشدّت بآخر حول الجسد
ولو قدرت أودعته حنايا الضلوع ، وضمّت عليه الكبد !
عساها تقيه يدَ الحنان ضراوةَ ذاك الماء المُثرد
وعانقها وهو يصغي إلى تلاحق أنفاسها المطّرد
وكانت خلال الدجى مقلتاه كفجمين ضاءا بصدر الجلد
تشعّان في قلبها المدلهمّ فيوشك في جنبها يتّقد
وغمغم : أمّ ، وراحت يداه تعيثان ما بين نحر وخد
فأهوت على الطفل تشتمّ فيه روائح فردوسها المفتقد

* * *

وفي مثل تهويمة الحالمين وغيبوبة الأنفس الصافيه
أطلّت على أفق الذكريات وفي عمقها لهفة طاميه
تعانق بالروح طيف الديار وتلثم تربتها الزاكيه
وتبصر في سبحات الخيال ملاعبها الرحبة الحانيه
وأترابها الدانيات وتلك المحاليز في الروضة الحاليه
ومن ههنا ظلّة الياسمين ومن ههنا ظلّة الداليه
وإلفُ الحياة يُشيع الحياة بأجواء جنتها الهانيه
فيا دار ما فعلته الليالي بأشيائك الحلوة الغاليه ؟
ورُبْكِ ... كيف تهاوت به يدُ البغي والقوة الجانيه !

* * *

ومرّ على قلبها طيف يوم دجيٌّ الضحى ، عاصف مربد
وقد نفرت في جموح الإباء نسور الحمى للحمى تفتدي
دعاها نفير الحمى والجهاد فهبّت خفافاً إلى الموعد
تذود عن الشرف المستباح وتدفع عنه يد المعتدي
وتقتحم الهول مستهتراً وتسخر بالهب الموقد
فتنقضُّ مثل القضاء المتاح وتهبط كالأجل المرصد
وليست تبالي وجوه الردى كوالج في الوقف الأربد
فيالليتني كم عمرٍ أبيّ تجدّل فيه ... وكم أصيدا
أباحوا له اللهج النساليات واسقوا ثراه دم الأكبد

* * *

وطالعها في زوى الذكريات فتاها ، نجيُّ الحمى والطماح
إباء الرجولة في بردتيه وزهو البطولة ملء الوشاح
يشدُّ على الناصب المستبد ويضرب دون الحمى المستباح
ويلقى عراك المنايا وجاهاً ويكتسح الهول أنّى اكتساح
وتعرف منه الوغى كاسراً قويَّ الجناح عنيد الجماح
يخط على صفحات الجهاد ، سطور الفدا بدماء الجراح
نبيل الكفاح إذا الخصم راغ ومن شرف الحرب نبل الكفاح
فيا من رأى النسر يجتاحه وتلوى به بنتات الرياح
تهاوى صريعاً وأرخى على حطام أمانيه ريشَ الجناح !..

* * *

وفاضت نواعجها ، لا أنيناً حريحاً ، ولا عبرة زافره —
ولكن دعاءً من الحقد والبغض والضغن والنقم الناصره !
متى يشتفي الثأر ؟ يا للضحايا أتهدر تلك الدما الطاهره
ويا للحمى ! من يجيب النداء نداء جراحاته النافره
وقد أغمد السيف ، لا رد حقاً ولا أطفأ الغلة الساعره !

* * *

تغلل في حضنها فرخها فضمته محمومةً ثائره ..
ومالت عليه وفي صدرها مشاعر وحشيّةٌ هادره ..
لترضعه من لظى حقدها ونار ضغائنها الفائره ..
وتسكب من سم خلجانها بأعماقه دفقةً زاخره !

* * *

هنا (جبل النار) كان يطوّف حُسامٌ بأجفانه الساهره
تفاديه فيه طيوف نسور تفلّ بأفق العلى طائره
تخالبها راعفات — وملء جوانحها نشوة ظافره ..
ويرد الثغيّ بثاراتها وراء مناسرها الكاسره !

(نابلس — جبل النار) فروخي عبد الفتاح طوقان